الجزء ١١ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ م الموافق جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ هـ

حاجة العلوم العربية الى التجديد (١)

اذا ألقيت بنظرة على المتعلمين في الشرق رأيتهم يتعلمون بعض العلوم على نمط خاص وبعضها على نمط آخر ، فهم يتعلمون النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه مثلاً على النمط القديم — وهو نمط لم يتأثر بالمدنية الحديثة ولم يعبأ بها و يفرض لها وجوداً — وهم يتعلمون الطبيعة والكيميا والرياضة والجغرافيا مثلاً على النمط الحديث ، ينقلون ذلك عن الغربيين ، وتساير كتبهم ونظرياتهم الكتب الغربية والنظريات الغربية ولا ترى من بينهم من يدرس الجغرافيا على نحو ما ألف الادريسي ولا الطب والطبيعة والكيميا على نحو ما ألف ابن سينا ولا الرياضة على نحو ما الف العاملي الا افراداً ليس يبنى عليهم حكم .

والحق ان لكل من النمطين منطقاً يخالف منطق الآخر وتأثيراً في العقل مختلفاً وهذان المنطقان لا يتعاونان بل يتضادان ويفسد احدهما عمل الآخر ، ومن أجل هذا أرى ان عقول الناشئين تضطرب بين المنطقين ، وتختل بالتشاد بين النظامين ، ونحن احوج ما نكون الى وضع أساس ثابت تتلاءم اجزاؤه ولا تتناقض آثاره ، وبذلك وحده يتكون عقل المتعلم غير مشوه هذا التشويه الذي نرى ولتوضيح هذه النظرية نقول:

ان المتتبع للعلوم العربية على اختلاف انواعها والنمط الذي سار عليه المؤلفون في تآليفهم يرى ان هذه التآليف يتضح فيها خاصتان (الاولى) تأثرها جميعها — الى حد كبير

(١) أطروحة الاستاذ المحقق الشيخ احمد امين من علماء مصر بمناسبة انتخابه عضواً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمنطق ارسطو ، فالعرب في اول عهدهم بالعلم شغفوا بمنطق ارسطو ونقلوه كما هو تقريبًا الى لغتهم وحافظوا على نقله حتى في الامثلة والترتيب وعدوه كما عده اليونان اساسًا للعلوم ، ومن ثم وضعوا علومهم حتى الشرعية منها كعلم الكلام على اساس هذا المنطق .

وطبيعة هذا المنطق — منطق ارسطو — ناقصة قاصرة ، فهو يفرض ان حقائق هذا العالم معروفة قد فُرغ منها وانما مهمته ان يعلمنا كيف ننقل هذه الحقائق من ذهن يعرفها الى ذهن لا يعرفها — ترى هذا واضحًا في أبواب المنطق فهو لا يعنى كثيرًا بالبحث عن صحة القضية وكيف يعتورها الشك وكيف تمتحن للتنبيه صحتها من فسادها وانما اكثر ما يعنى به القضية من حيث شكلها و « رسمياتها » — فهو لا يلفت الذهن الى بحث القضايا وامتحانها وابتكار ما ليس بموجود انما يعتمد على اشكال القضايا — من كلية وجزئية وموجبة وسالبة — ليستنتج منها نتائجها ولو كانت القضايا نفسها خطأ .

من اجل ذلك كان اثر هذا المنطق على الذين اشتغلوا به وجعلوه وحده اساس تفكيرهم انهم اقتصروا على شرح الحقائق المعروفة ونقلها من عقل الى عقل اما امتحان نظرية والشك فيها وتجربة صحتها من فسادها ووضع نظرية أخرى جديدة محلها فذلك قل ان يكون تأثر بذلك الجمود علماء العرب بعد حركتهم الاولى في نقلهم العلوم كما تأثر بذلك ايضًا علماء الغرب الى العصر الحديث .

في هذا العصر خلع الغربيون نير منطق ارسطو ووضعوا بجانبه منطقًا حديثًا اساسه الشك في الحقائق التي نعرفها عن هذا العالم وامتحان ما نوورث على انه حقائق وتسليح العقل لغزو هذا العالم واستكشاف ما فيه من حقائق يسدل عليها حجاب كثيف .

ان شئت مقارنة بين المنطقين فمنطق ارسطو منطق تعليم لما علم والمنطق الحديث منطق استكشاف لما لم يعلم منطق ارسطو يعلمنا مثلاً كيف نغذي الطير ببذر الحب له ونرضع الطفل بإلقامه الثدي والمنطق الحديث يعلمنا كيف نكون كالنحل نجمع غذاءنا بانفسنا من مختلف الازهار ، منطق ارسطو اتكالي والمنطق الحديث استقلالي .

ألست ترى اثر هذا المنطق الجاف في العلوم العربية فليس من جديد فيما يؤلف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيها الا تقديمًا لمتأخر او تأخيراً لمتقدم او جمعًا لمفترق او تفريقًا لمجتمع وانت اذا اردت ان تسرد عدداً من مؤلفي العرب أمثال ابن خلدون في ابتكاره وتجديده لم تجد كثيراً وانت لو عمدت الى كتب البلاغة بعد السكاكي فأعدمتها او كتب النحو بعد ابن هشام فأحرقتها او كتب المنطق بعد التي ترجمت في العصر العباسي فأتلفتها لم تكن خسرت كثيراً بل ربما لم تكن خسرت شيئًا وقل مثل ذلك في غير هذا من العلوم العربية ·

(الخاصة الثانية) وهي كالنتيجة للاولى ان هذه المؤلفات العربية لم تتأثر بالعصر الذي وجدت فيه ولا بالحالة الاجتماعية التي كانت سائدة زمن تأليفها ولا بحالة المملكة التي ألفت فيها مع ان العلم في كل عصر يجب ان يستمد حياته من طبيعة العصر الذي يعيش فيه ، يشتق منها أمثلته و يحدد بها غايته و يرسم منهـا خطته — ألست ترى كتب الفقه الى الآن تقدر الماء في باب الطهارة بذراع الكرباس ولا تعبأ بالمقاييس الحالية وتقدر الواجب في الزكاة بالصاع ولا تمير التفاتاً الى مكيالنـا ونقول ان المتعة درع وخمار وملحفة وتغض النظر عن ملابسنا وتقسم الشركة الى شركة مفاوضة وعنان ووجوه ولا تنظر الى ما استحدث من أنواع الشركات المختلفة وتتكلم في الزكاة عن العشر والخراج ولا تذكر علاقة ذلك بنظام الجمارك المعروف اليوم — او لست ترى المعاجم المستعملة الى اليوم في أيدي المتعلمين تقول ان الاهرام بناها ادريس عليه السلام او سنان بن المشلشل (الفيروزابادي) وتعرف الكسوف والخسوف بما يتنافى مع العلم الحديث وترى مثل هذا في كل فرع من فروع العلم ·

في ضوء ما ذكرنا يمكننا ان نحصر عيوب المؤلفات العربية فيما يأتي :

(ا) — في أمثلتها فضلاً عن انها لم تشتق مما حولنا ولم تستمد حياتها من حياتنا فقد مضت عليها القرون تلو القرون وهي لم يعترها تغيير ولا تبديل كأنها عقيدة من العقائد حتى ملها الناس واشمأزوا منها كما يشمئزون من رؤية الثوب الرث البالي ·

(ب) — في نمط تأليفها فهي غالبًا يسودها الغموض حتى تبلغ بعض الأحيان الى ان تكون أشبه برموز كما ترى في كتب اصول الفقه والمنطق ولم يبذل المؤلفون مجهوداً كبيراً في تسهيل الموضوع وتقريبه الى الأذهان واندفعوا في هذا الطريق السخيف طريق المتن المركز ثم الشرح على المتن ثم الحاشية على الشرح ثم التقرير على الحاشية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان اولى ان يهضم مريد التأليف الموضوع ثم يخرجه سهلاً واضحاً مسلسلاً لايحتاج الى شرح ولا الى حاشية .

ثم هم لم يحاولوا ان يسلكوا طرقاً مختلفة في كتابة الموضوع ولم ينظروا اليه من جوانب مختلفة بل كلهم صبوا تآليفهم في قالب واحد : التعريف اولاً ثم الكلام على الجزئيات على النسق الذي اتبع من قبل على ان البدء بالتعاريف خصوصاً اذا كانت دقيقة من أبعد الوسائل نجاحاً في تفهيم الناشئين فضلاً عن انها ليست الطريقة الطبيعية فليس التعريف عند الباحث الا النتيجة الختامية لبحثه — ان شئت فانظر حتى الى كتب النحو التي وضعها نخبة من المحدثين وأقرتها وزارة المعارف المصرية في مدارسها واقرأ في كتابها الاول — الموضوع للسنة الثانية الابتدائية تعريف الحال والتمييز وأمثالها تدرك مايعاني طلاب العربية من صعوبة فقد استحال علينا ونحن طلبة تفهمها لحفظناها عن ظهر قلب ولم نتفهمها الا بعد ان جاوزنا هذا الدور بسنين عدة .

(ج) في جمودها — فقد وقفت حتى ركدت وتعفنت وساروا في تأليفها على مبدإ « القديم على قدمه » فلم يبتكر الخلف شيئاً يزيده عن السلف كأن كل علم تم وكمل ولم يبق فيه زيادة لمستزيد فلا موضوع جديد ولا مثل جديد ولا أسلوب جديد .

وهذا هو السر في انك ترى المعلم يبدأ بدراسة اللغة العربية والاجنبية معاً و يسير فيهما جنباً لجنب ثم اذا هو وقد أخذ من اللغة الأجنبية بحظ اكبر وتأدب بأدبها وهجر اللغة العربية ولفظها وكانت المؤلفات الأجنبية لذته في قراءته وسلوته في وحدته وعرف من تاريخ أدبائها ومؤلفاتها وآدابها ما لم يعرفه عن العربية ومؤلفيها مع انها لغة قومه وأقرب الى ذوقه — ذلك لانه يرى في الادب الغربي جدة في التفكير وتمشياً مع الحاضر وروحاً وحياة ونشاطاً لايجدها في العربية فأين الروايات العربية التي تمثل حياتنا الاجتماعية واين الشعر العربي الذي يمثل عواطفنا الحاضرة واين الكتب العربية الطلية الجذابة التي نضعها في يد فتياننا وفتياتنا نهذبهم بها واين القصص اللطيفة المصورة التي نقدمها لاطفالنا . حقاً اننا فقراء معدمون .

ولنذكر الآن علمين على سبيل المثال نوضح عيوبها ونقترح مانرى في علاجها وهما (علم البلاغة) و(علم اللغة) ونرجو ان نوفق في مقال آخر لتحليل كهذا في العلوم العقلية ثم الشرعية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

علم البلاغة — انظر معي أيها القارئ الكريم نظرة عامة الى علم البلاغة تجد ان الكلام في هذا العلم بدأ ببحث بعض العلماء في السر الذي من اجله كان بعض الكلام بليغاً وبعضه غير بليغ وكان اذا عرض لاحدهم آية من القرآن او بيت من الشعر بليغ اخذ يعلل سبب الإعجاب وسر الفصاحة تعليلاً علمياً كما فعل ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ ﻫ واستمر العلماء يسيرون في هذا الطريق حتى اتى عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ فجمع هذه المباحث ورتبها وأخرجها في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وكان أساس تأليفه البحث في كيف يكون الكلام العربي بليغاً فصيحاً فهو يعرض مثلاً للتقديم والتأخير من هذه الناحية ناحية ان كلاً منهما قد يكسب الكلام العربي فصاحة وبلاغة — وكثيراً مايعتمد في بحثه وبيانه على الذوق الادبي اكثر من اعتماده على التعليل العقلي فهو يأتي بالمثل و يقول الا تحس من هذا بروعة تملؤك ، الست اذا غيرت هذا الوضع ذهب ماتشعر به من جمال الى كثير من أمثال ذلك — وكان الى حد كبير موفقاً في اختياره الأمثلة وأديباً رقيقاً في تعبيره حتى ليفيدك من أسلوبه اكثر مما يفيدك من بحثه ثم أتى السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ ﻫ وصبغ العلم الصبغة المنطقية ففصل المسائل وجعل لكل نوع اسماً وحدد مواضع التقديم والتأخير والفصل والوصل الخ وعدها وحصرها وعبر عن ذلك بالعبارة الفلسفية الجافة — والى هنا وقف العلم فلا ترى فيما الف بعد ذلك جديداً انما هو اختصار لمطول او تطويل لمختصر او شرح لعبارة غمضت او تفسير للفظة وردت .

ولم يعد في كل هذه الكتب غناء للمتعلم في عصرنا ، فان كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رأى أن يرجع بطلبته الى كتب عبد القاهر ليذوقوا فهم البلاغة فلست أرى فيها ولا في كتب السكاكي ما يصح ان يكون كتباً تعليمية لاهل هذا العصر — لقد وحدت فيها الأمثلة جميعها حتى بليت وحتى صارت تستدعي التقزز بدلاً ان تستدعي الإعجاب : فزيد أسد . وله لبد . أظفاره لم تقلم . وهو كثير الرماد . جبان الكلب . وكأن محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد . وسالت باعناق المطي الاباطح .

ثم ماهذا النمط البالي في التأليف في ان مواضع التقديم خمسة ومواضع التأخير ستة ومواضع الوصل والفصل كذا وما هذه الاسماء التي وضعوها لانواع الاستعارات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المختلفة وما قيمتها — ثم ما هذا الجمود في التأليف والمخترعات حولنا تفيض على الذهن الحي المبتكر تشبيهات واستعارات وكنايات تهز النفس لجدتها وحياتها ، وفوق ذلك فعلم البلاغة يجب ان يكون خادماً لعلم النفس فكلما تقدمنا في معرفة ملكات الناس وطرق استمالتهم وجب ان نحول البلاغة هذا المنحى للتأثير في عقول الناس وعواطفهم وإرادتهم .

ان انت حددت الغرض الذي ترمي اليه من البلاغة هزئت بهذا النوع من البحث الذي يسمونه البلاغة . أليس الغرض من البلاغة ان تكتب جيداً وتتكلم جيداً ؟ هل هذا النوع من التأليف قد وفى بالغرض ؟ الحق ان لا . وان أعمق الناس دراسة في السكاكي وذيوله أبعدهم عن ان يجيدوا كتابة او خطابة .

اين الكلام في كتب البلاغة عندنا على الوصف وما شروط جودته وما نماذجه الجيدة ؟ واين الكلام على القصص وأنواعه ؟ وهو هو الذي يستغرق الجزء الاكبر من الادب الغربي ومن حياتنا العامة . واين الكلام على الجدل والمناقشة وما السبيل السوي التي يسلكها المتجادلون في بحثهم — وما الخطابة وما اقسامها من سياسية وقضائية ودينية وكيف نكوّن الخطيب ؟ الخ .

لا نرى في كتبنا شيئاً من هذا الا نتفاً لا تشفي غليلاً — قد عني فيها بوصف ألفاظها اكثر مما يعنى بموضوعها .

والحق ان هذه الموضوعات وأمثالها ومقدماتها هي التي اذا عني بدراستها ووضعت أمام الناشئ نماذج منها مختارة وكلف بعدُ بان يحذو حذوها أنتجت البلغاء حقاً .

وعلم اللغة — اللغة كما نعلم — أداة يعبر بها الانسان عن غرضه يستخدمها الصانع والمعلم والسامر وكل ذي غرض في تفهيم مايريد الى الآخرين فهي خادم للانسان وليس الانسان خادماً لها فيجب ان تسايره في الحياة فتكون ضيقة بسيطة اذا كانت معيشته ضيقة بسيطة وكلما اتسع الانسان في شؤونه وجب ان تتسع ايضاً وتنمو .

هذه مسألة بديهية تخضع لها كل اللغات ومنها اللغة العربية .

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة بدوية ، حاجاتهم قليلة ووسائل معيشتهم بسيطة ، ليسوا في حاجة الى أدوات صناعية كثيرة دقيقة كالتي تتطلبها مدنيتنا

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليسوا في حاجة الى مصطلحات علمية في ضروب العلم المختلفة لانه ليس لديهم علم ، فطبيعي ان تكون اللغة العربية اذ ذاك فقيرة في مصطلحات العلوم فقيرة في أدوات الحرف فقيرة في أدوات الزينة والترف فقيرة في كل شأن من شؤون المدنية العالية — وكانت معيشتهم تعتمد في كثير من نواحيها على الإبل في مأكلهم وفي ملبسهم وفي مشربهم وفي ركوبهم فكان طبيعيًا ان تكون لغتهم غنية في كل ما يتعلق بالابل فكثرت اسماؤها واسماء أجزائها حتى استطاع بعض علماء اللغة ان يضعوا للإبل كتبًا خاصة ليس فيها الا الإبل وما يتصل بها ، وكانت حياة الجاهلية حياة حروب دائمة بين القبائل فكان طبيعيًا ان تكون لغتهم غنية باسماء أدوات الحروب من سيف ونصل وسهام ورماح ونحوها وان يكون لكل شيء من هذه اسام عدة وان تكون عقولهم مملوءة بالمعاني التي تستتبعها الحروب وان تكون لغتهم مستعدة للتعبير عما يجول باذهانهم من تلك المعاني .

وعلى هذا نستطيع ان نتعرف في اي المواضع كانت اللغة العربية غنية وفي ايها كانت فقيرة — ان سكان الواحات والصحراوات التي تبعد عن الشاطيء ولا تجري فيها أنهار لا يعرفون السمك وليسوا في حاجة ان يضعوا له اسمًا ولا هم في حاجة الى ان يضعوا لأنواعه العديدة أسماء وسكان السواحل في أشد الحاجة الى ذلك وليسوا في حاجة الى معرفة اسماء لما ينبت من الكلاء والعشب وما تخرج الصحراء .

فلما تحضر العرب بعد الاسلام واختلطوا بالفرس والروم واحتلوا كثيراً من بلادهم رأوا من أدوات الزينة والترف مالم يكونوا قد رأوا ، ورأوا من الحرف الدقيقة والفنون الجميلة ما لم يعهدوه كما رأوا من أنواع تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يكن يخطر لهم على بال وفوق ذلك تطلبت الحضارة معاني جديدة وعلوماً جديدة ومصطلحات جديدة ورأوا انفسهم مضطرين للتعبير عنها — أصبحت هذه الاشياء ملكاً لهم فلا بد ان تستخدم اللغة في التعبير عنها فساروا بلغتهم مع مقتضيات الاحوال — توسعوا في مدلولات بعض الكلمات كحكومة وديوان وعربوا الكلمات الاعجمية احياناً واشتقوا ونحتوا أحياناً فأصبحوا ولغتهم البدوية تفي بحاجاتهم الحضرية وصار من موسيقاهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

العود والقانون والبربط ومن مأ كولهم الفالوذج والسكباج وزينت بيوتهم بالفسيفساء والقاشاني .

ثم جمدوا وسدوا باب الاجتهاد في اللغة كما سدوه في التشريع فلم يبيحوا لانفسهم ان يضعوا كلمة جديدة ولا ان يغيروا معنى ولا ان يتوسعوا في مدلول كلمة .

زادت حضارتنا عما كانت عليه في عهد الدولة العباسية فالمدنية الحديثة قد غمرت العالم بالمخترعات والآلات والأدوات وغيرت نوع المعيشة لدرجة كبيرة والعلوم تقدمت وتفرعت ووضعت لكل دقيقة منها في اللغات الاجنبية اسماء خاصة بها .

فاذا نحن ألقينا بنظرة الى اللغة العربية وبنظرة الى هذه العلوم والأدوات والمخترعات وجدنا ان ثوب اللغة غير متناسب مع حالتنا فهو ثوب واسع فضفاض في بعض أجزائه وضيق او معدوم في بعض أجزائه فالخمسون اسمًا التي للاسد لسنا الآن في حاجة كلها اليها ولسنا محتاجين من الثمانين اسمًا للعسل الا الى بضعة اسماء والطبيب والفيلسوف والكيماوي وكل عالم الآن لا يجد في اللغة العربية حاجته وقل مثل ذلك في النجار والحداد والأديب في حديثه والرجل في عمله والمرأة في شؤونها .

فنحن بين اثنتين اما ان نقدس ماقاله العرب ونقف عنده ولا نسمح لانفسنا بوضع جديد وحينئذ يجب ان تكون اللغة العربية لغة أثرية كاللاتينية والعبرية واما ان نريد ان تكون لغة حية وحينئذ يجب ان تخضع لقوانين الحياة فتنمو وتتجدد وتساير حياة الناس وهذا الأخير هو ما ينبغي ان يكون .

فالمعاجم العربية كلها غير صالحة لهذا الزمن لامور :

(١) كثرة ما فيها من كلمات ميتة لا تستعمل وامتلاء المعاجم بها يشتت ذهن الباحث و يعوقه عن تحصيل ما هو ضروري ومستعمل والأولى ان تكون هناك معاجم كهذه حاوية لكل الكلمات ولكنها تكون للخاصة يرجعون اليها عند الحاجة فقط . اما المعاجم التعليمية والتي تكون في يد الكافة فيقتصر فيها على الكلمات الحية المستعملة .

(٢) انها لا تساير العلم الحديث و يجب ان تكون كذلك فاذا عرضت كلمة كسوف او خسوف مثلاً وجب ان نشرحها بآخر رأي دونه علم الهيأة واذا عرضت كلمة الاهرام شرحناها حسب مايقول علماء التاريخ المصري واذا عرض نبات او حيوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

وجب ان نعرف الاسم المقابل له علميا ونشرحه بذكر فصيلته ومميزاته حسب ما يرشد اليه عالم النبات والحيوان وهكذا .

(٣) قصورها — كما قلنا — في كثير من الاشياء فليست فيها المصطلحات العلمية الحديثة ولا حاجات المدنية الحديثة ولا المخترعات والمستكشفات الحديثة .

والواجب ان يكون هذا كله بيد مجمع عربي مؤلف من خيرة المتعلمين في الامم الشرقية جميعها وان يكون رسميا تعترف به الحكومات وتمده بالمال وان تعطى له سلطة وضع الكلمات للمصطلحات العلمية وما نحن في حاجة اليه ثم تلزم الهيئات العلمية باستعمال الكلمات التي يضعها هذا المجمع والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

القاهرة : احمد امين

رئيس لجنة التأليف والترجمة
والنشر والمدرس بالجامعة
المصرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية